الفن العربي والرؤية الاستشراقية

بنفس القدر الذي أثاره ويثيره استعمال كلمة 'الإسلامي' لتوصيف الفن المنسوب إلى حضارة ما بعد انتشار الإسلام في الجزيرة العربية والدول العربية والإسلامية، يثير هذا العنوان لكتاب (Arab Art) الصادر حديثا عن دار (TASCHEN) مجموعة من الأسئلة والتساؤلات عن مضامين استعمال المصطلح ومحتواه في إطار الاستشراق وعمل المستشرق (Emile Prisse DAvennes) الذي تحفل أعماله ورسوماته بهذا الكتاب الضخم. ولعلها واحدة من المرات النادرة، إن لم تكن الوحيدة وغير المسبوقة، التي تستعمل كلمة 'العربي' للدلالة على 'الفن' كموصوف في منطقة جغرافية وحضارة محددة بعد انتشار الإسلام.

فهل كان استعمال المصطلح دقيقا أم أنه سقطة لغوية غير دقيقة في استعمال المفردات والتوصيفات؟ وبخاصة أن كاتبي النص، (Sheila Blair) و(Jonathan Bloom) في قراءتهما لأعمال هذا الباحث المستشرق، ونقلا عن كتاب له بهذا الاسم غير المسبوق، لهما عمل سابق مماثل عنوانه 'الفن الإسلامي' أو (Islamic Art)، فكيف يمكن تفكيك بنية المصطلح وإعادة قراءة وتشكيل بنيوية هذا الفن على ضوء قراءة هذا الكتاب ضمن إطاره الاستشراقي؟

د. وليد احمد السيد

ضمن هذا الإطار لنتعرف على جوانب من حياة وفكر وأعمال هذا المستشرق.

المستشرق الفرنسي (Emile Prisse DAvennes) صاحب كتاب 'الفن العربي' والمولود عام ١٨٠٧ والمتوفى عام ١٨٧٩ يعتبر واحدا من أهم المهتمين من علماء ما قبل القرن العشرين بعلم المصريات، وهو مؤلف وفنان، وأحد المعجبين إلى درجة الوله بالفنون المصرية والفرعونية والشرقية عموما. وقد حلم في صباه بالترحال إلى الشرق، وعندما بلغ عامه التاسع عشر توجه إلى اليونان والهند وفلسطين، ثم تجول على مدى الأربعين عاما اللاحقة في سورية الكبرى والمملكة العربية السعودية وفارس، وسكن واستقر في مصر والجزائر. فبعد التحاقه باليونان في حرب الاستقلال أصبح سكرتيرا للحاكم العام ومرورا بفلسطين وصل الى مصر حيث أصبح مهندسا مدنيا في خدمة محمد علي باشا. وقد اعتنق الإسلام، وسافر إلى مصر متنكرا بزي عربي مستعملا اسمه الجديد (إدريس أفندي). ولشغفه الكبير بالفن الشرقي الذي شاهده في ترحاله والذي أطلق عليه اسم 'الفن العربي' حيث يزخر بالتماثل (symmetry) والتعقيد (complexity) على حد وصفه له، فقد أطلق لريشته العنان ليرسم نماذج كبيرة جدا تعكس رؤيته للفن الشرقي والعمارة والتي يتضمنها الكتاب الذي بين أيدينا – والتي تسجل أحداثا اجتماعية وتاريخية ضمن إطار ومنظومة حضارية ودينية. وفي عام ١٨٧٧ نشر مسحه الميداني الرائع للفن والعمارة العربية في باريس. وهذه الطبعة الجديدة لهذا الكتاب الضخم تتضمن مجموعة رائعة من ٣٢ مخطوطة فنية تصف الناس والأزياء في وادي النيل والتي نشرها في لندن عام ١٨٤٨ . أثناء وجوده في مصر في العام ١٨٣٤ وخلال محاضراته حول التحصينات في مدرسة حربية قاده ذلك إلى استكشاف الدلتا، وكانت سنين مهمة في دراسة البيئة المحيطة وأتقن اللغة العربية واللهجات المحلية وفك الهيروغليفية. وفي العام ١٨٣٦ استقال من منصبه وطاف في مصر شمالا وجنوبا في النوبة ومصر العليا والدلتا وكانت فترة تأمل وملاحظة وتصوير ورسم لما شاهده، حيث كان يطوف بملابس وهيئة عربية. وفي العام ١٨٣٩ انتقل إلى الأقصر والكرنك حيث رسم عشرات المناظر والاسكتشات فيما انخرط أكثر وأكثر في الحياة العربية، وكان ولعه الشديد بالبيئة العربية المحيطة مما قاده إلى تأسيس جمعية ترأسها لدراسة التاريخ المصري الطبيعي كان بها أكثر من مئة عضو معظمهم من الإنكليز. وقد بدأ سلسلة من الرسومات أسماها 'الحياة على ضفة النيل' نشرها لاحقا عام ١٨٤٨ في لندن.

في صراع محموم بين الحملات الاستشراقية على تراث مصر الفرعونية وبخاصة في منطقة الأقصر وآثار الكرنك جنوبا، فقد شكلت البعثة الألمانية بقيادة (Karl Lepsius) الممولة من قبل الملك (Friedrich Wilhelm) الرابع خطرا على طموحات (Prisse) يتمثل في نقل الآثار والمكتشفات الثمينة Ygn متحف برلين. هذا التخوف قاده إلى شحن أكثر من ٦٠ قطعة من الكرنك عبر الإسكندرية إلى فرنسا عام ١٨٤٤ حيث بقي هناك لعشرة أعوام. ولكن على الرغم من ذلك، وبسبب رفضه إعلان الولاء للملك لويس- فيليب ملك فرنسا آنذاك، لم يحصل على التكريم المطلوب ولم يرقَ إلى أكثر من تكريم هزيل. وخلال هذه السنوات في فرنسا استمر في الكتابة والنشر عن المصريات والآثار الفرعونية، ونشر كتاب (les monuments egyptiens) وكتاب (oriental album) والذي احتوى على ٣٠ من الرسومات الموضحة بالنصوص، وهي مخطوطات مستندة إلى رسومات قام بها في الموقع أثناء إقامته في مصر والأقصر. وهذه الرسومات تطوف بالناظر عبر الإسكندرية إلى القاهرة ثم النوبة والحبشة، وتتوقف عند البحر الأحمر قبل أن تعبر بالناظر إلى المملكة العربية السعودية ونجد. كما تظهر تنوعا كبيرا في المنظور الاجتماعي بين التجار الأغنياء والفقراء المعوزين والفلاحين والبدو، فضلا عن العديد من المناظر التي تظهر فيها النساء. من فتيات راقصات إلى أمهات مع أطفالهن وحاملات للماء. وقد برع في إظهار تفاصيل الأزياء بتنوع وثراء لوني في رسوماته بما يظهر واقع الحياة اليومي وتمظهراتها الاجتماعية والبيئة التي تعكس تنوعا في خلفية رسوماته حيث تظهر الجمال والآلات الموسيقية. وفي رسوماته يظهر الفلاحون بملامح النبل، كما تظهر النساء المنقبات، وهي انعكاسات لتصورات الفنان الحالة بعيدا أحيانا عن واقع البيئة المعاصرة وليس كما شاهدها أو حلم بها المستشرق. لكن الجدل يثار أحيانا حول بعض اللمسات والتصورات التي أثارها هذا المستشرق في بعض رسوماته حين صور إحدى النساء تستحم نصف عارية، بما يثير تساؤلات لدى قراءة المهتمين بالرسومات الاستشراقية حول مدى صحة ذلك في واقع الأمر، وهل كان المستشرق برسمه لأدق التفاصيل كالأزياء مثلا في لوحاته صادقا حتى في وصف الأشخاص والأحداث، وبخاصة أنه يصور 'نفسه' في أحد المشاهد في لوحاته.

وقد أصبح هذا الباحث المستشرق لاحقا قيّما لمتحف اللوفر في قسم المصريات، لكنه لم يكن يرغب في أن يصبح أستاذا لكرسي المصريات في جامعة فرنسا(College de France) ، بيد أن معرفته التامة باللغات الشرقية جعلته مؤهلا رئيسيا كي يصبح سفيرا لفرنسا، لكنه ربما كان قد أصبح هرماً واعتبر أن ذلك المنصب جاء بعد فوات الأوان. ولإعالة نفسه فقد عاد إلى العمل الهندسي وعاد إلى الجزائر للإشراف على مناجم الرخام. وتجربته في الجزائر فتحت له مجالا كبيرا للمقارنة بين البيئتين وضمن إطار العمارة والفن العربي بمضامينه الإجتماعية والثقافية. وفي عام ١٨٥٨ عاد إلى مصر مع مرافقين اثنين له، أحدهما مصور باريسي، في مهمة لفرنسا لإجراء دراسات وبحوث ثقافية وعلمية مما أتاح استخدام وسيلة التصوير المكتشفة قبل عشرين سنة فقط. وقد وجد أن مصر قد تغيرت كثيرا في الثلاث عشرة سنة الماضية التي غاب عنها حيث اكتشفت الكثير من المقابر الفرعونية خلال هذه الفترة في سقارة، وبالإضافة إلى ذلك فقد أصبحت عمليات التنقيب عن الآثار تحت إشراف الحكومة وسُنّت القوانين التي تجرّم عملية نقل الآثار والمكتشفات خارج مصر إلى أوروبا. ولذا لم يكن في وسعه ورفيقيه سوى التنقل عبر المواقع الأثرية وعمل اسكتشات ورسومات وصور ملونة مائية، فبالإضافة إلى رسوماته الأولية عاد بحوالي ١٥٠ صورة فوتوغرافية، و ٣٠٠ متر من الرسومات المائية و٢٠٠ من الرسومات الأخرى كلها للمكتشفات الأثرية الحديثة. ومن ضمنها كانت رسومات معمارية لمآذن وقباب وقبوات وواجهات مبان أثرية. في العام ١٨٦٠ عاد المستشرق إلى فرنسا حيث قضى بقية حياته ينشر أعماله التي قام بها في المواقع التي حل وارتحل بها في الشرق العربي والجزيرة العربية وشمال افريقيا وفارس، وتوفي في العام ١٨٧٩في بيئة متواضعة. وقد تبعثرت أعمال هذا المستشرق في حياته وقبيل وبعد وفاته، فبعضها عرض في باريس والبعض الآخر بيع في المزاد العلني في لندن قبل عام من وفاته، لكنها كانت مصادر مهمة للدارسين والباحثين إذ تصف بعض رسوماته تفاصيل معمارية لم تعد موجودة حاليا بفعل التهدم أو تقادم الزمن وتآكل واجهات المباني المعمارية . بما ترك بعض الدارسين حائرين أمام حقيقة إن كانت فعلا تآكلت بفعل الزمن أم أن هذا المستشرق قد 'ألفها' من وحي خياله وتغيير للتفاصيل التي شاهدها ورسمها.

من أهم أعماله كتاب 'الفن العربي' أو (LArt arabe) والذي يحتوي بالإضافة إلى اللوحات المئتين الملونة أكثر من ٣٠٠ صفحة من النص المكتوب تشرح الرسومات وتؤرخ للجغرافيا والتاريخ والآثار والشواهد العمرانية والفنية في مصر. ويستعرض الكتاب تاريخيا ثلاث فترات مهمة مرت بها مصر انتهاء بعصر المماليك منذ الفتح الإسلامي فالفاطمي والأيوبي. وبعد هذا العرض الافتتاحي للمادة ينتقل المستشرق في كتابه إلى الكلام عن الآثار ذاتها والتي يعرضها عرضا تصنيفيا بناء على نوع المباني. وفي الفصل السادس ينتقل المستشرق إلى الكلام عن مدينة القاهرة وأسوارها وبواباتها وقنواتها وساحاتها العامة وقلعتها. أما الفصل السابع وهو أطولها فيخصصه للكلام عن العمارة الدينية وعمارة المسجد مع نص قليل لكنه يستعرض حوالي ٤٠ أثرا عمرانيا مرتبة زمنيا. أما الفصل الثامن فيعالج فيه العمارة المدنية ومنها عمارة الزوايا والربط الصوفية والمستشفيات والمدارس والكرافانسراي والحمامات العامة والقصور، وينتهي الفصل بمقارنة بين البيوت المصرية والجزائرية، وينهي القسم الخاص بالعمارة بفصل قصير عن العمارة الحربية أو الدفاعية.

أما الفصول التالية فيخصها بالفن، ويقسمه إلى الفن المرتبط بالعمارة والحرف التقليدية المتعلقة بها كالأعمال الخشبية والزخارف، والفن خارج نطاق العمارة كالزجاج وأعمال النحاس والحديد والكتابة والمخطوطات والمرايا والصناديق الأنتيكات القديمة والقماش والنسيج. ويتطرق في النص العربي إلى نفائس تعود إلى العصر الفاطمي والتي أشار إليها المؤرخ المقريزي الذي يعود إلى الحقبة المملوكية والذي يصف المباني في الفترة المملوكية في القاهرة بالإضافة إلى أحيائها المعروفة بالخطط المقريزية . ولهذا فمعظم النصوص التي يرجع إليها المستشرق تعود إلى هذه الفترة المملوكية وتأريخ المؤرخين لتلك الفترة. أما الفصل الأخير فيجسد نظرة الكاتب المستشرق لأصل نشأة وتطور ثم تداعي ما يصفه بـ ' العمارة العربية' ويستعمل كلمة 'العربية' وليس 'الإسلامية'.

ومن اللافت أن هذا المستشرق كان أول الباحثين الغربيين الذين استخدموا ووظفوا تقنية التصوير، التي تطورت مراحلها لتستخدم في أعمال التوثيق الفوتوغرافي، في أعمالهم المسحية للآثار والمكتشفات المعمارية أثناء رحلاتهم الاستكشافية. وعلى الرغم من أن هدفه الأساسي كان عرض تاريخ 'الفن العربي' من خلال الآثار في القاهرة، إلا أنه بدأ كتابه بعرض حيوي لمشاهد من الحياة اليومية وسط مآثر القاهرة وآثارها . وهدفه من ذلك إعطاء القارئ فكرة عن المحيط الاجتماعي للواجهات الصماء الصامتة للمباني المعمارية. ففي إحدى رسوماته لجامعة الأزهر يظهر مجموعة من الباحثين يتحاورون في فنائه والأروقة المحيطة به . وهو ما يضفي طابع الحياة على رسوماته ولوحاته الفنية للقاهرة. وقد تأثر ببعض أسلافه المستشرقين في بعض رسوماته، فمثلا في تصويره ورسمه لمجموعة السلطان قايتباي تظهر ملامح التفاصيل والتأثر الواضح بالمستشرق الشهير 'ديفيد روبرتس' في رسمه لنفس المجموعة، رغم أن الأول اختار زاوية نظر واقعية بعيدا عن رؤية الفنان التي تجانب زاوية الرؤية الممكنة على أرض الواقع، كما فعل بعض أسلافه. وبالإضافة إلى تأثره فنيا ببعض من سبقه إلى درجة نسخ بعض أعمالهم . مما أوقعه في مرمى نقد المستشرق الشهير 'كريزويل' . فقد تأثر أيضا بنصوص مثل 'مقدمة ابن خلدون' واقتبس منها، كما اقتبس من نصوص مؤرخ مكة 'ابن الأزرق' . وهو ما يعكس عمق اطلاعه وسعة بحثه وتأثره بمن سبقه من الفنانين والمؤرخين على حد سواء.

وهدف هذا المستشرق ابتداء كان إبراز عظمة 'الفن العربي' الذي تأثر به وعشقه والذي لم يكن متميزا فقط عن الفن 'التركي' أو 'الفارسي' ولكن أيضا متميزا عن 'الفن المغربي' في اسبانيا وشمال غرب افريقيا. لكنه يعتبر سورية ومصر بمنظوره هما مركز ما يسميه 'الفن العربي' وتحت حكم سلاطين المماليك. فمن وجهة نظره يرى أنه بعد الفتح العثماني لمصر وسورية في القرن السادس عشر الميلادي، نحا 'الفن العربي' والعمارة عموما منحى نحو التداعي حيث 'يرى المتأمل قمة رفض الروح العربية للبربرية والهمجية' . رغم أن الباحثين المعاصرين يخالفون هذا المستشرق في رأيه ويعتبرون العمارة العثمانية بداية لعصر جديد ونهضة حديثة تجاه الانفتاح مع الخارج. وانطلاقا من وجهة نظره، فقد حاول هذا المستشرق تفسير 'المقرنص' الذي حفلت به العمارة العربية في مصر وغيرها وأخذ في رسوماته يحاول ربطها بالبطيخ والرمان، مما وجده الباحثون اللاحقون تفسيرا 'سخيفا'.

وعلى الرغم من تفسيراته المغلوطة لبعض ما شاهده أو حتى لبعض قراءاته فيما يخص أصل 'الواسطي' ومتعلقات بمقامات الحريري مثلا، إلا أن الباحثين يعدونه مرجعا في وقته وبخاصة في وقت طغت فيه الحاجة في أوروبا إلى فهم الفن ضمن منظومة الزمن والظرف والمحتوى. وكان اهتمامه بالمصريات في ذلك الوقت جزءا من موجة عامة تماشت مع الحملة النابليونية. وكغيره من أقرانه، رأى الفن بمنظوره 'العنصري' ولذا فقد ميز 'الفن العربي' عن غيره من الفن 'التركي' و'الفارسي' بما يعطي إطارا محددا لهذه التسمية غير المسبوقة التي أثارت تساؤلاتنا في بداية هذه المراجعة، نظرا لعدم ربطها ربطا 'ايديولوجيا' بالإسلام كما جرت عليه عادة المستشرقين سابقا ولاحقا. ونظرا لبعض وجهات نظره فلم يترك ذلك الكثير من الأصدقاء له في حياته ولا بعد مماته، لكن أعماله تبقى مرجعا مهما لفترة مهمة وثق خلالها الكثير من العمائر وصور الحياة الاجتماعية والفنية بمنظوره الخاص وكما ينقلها لنا هذا الكتاب المرجعي الذي بين أيدينا. وأهميته لا تكمن في قدرته فقط على تشخيص تاريخ تطور 'الفن العربي' . الذي يصفه بعض الباحثين المعاصرين بـ 'الإسلامي' ولكن لإدراك الطريقة والمنهجية التي اتبعت في القرن التاسع عشر لدراسة ذلك الفن.

إصدارات ثقافية

أوروبا اللاتينية والعالم العربي في العصر الوسيط

يحتوي هذا الكتاب على ١٢ فصلاً يخصّ كل منها دراسة عن أحد مظاهر العلاقة بين أوروبا اللاتينية والعالم العربي خلال العصر الوسيط. وكل من هذه الدراسات تتضمن مناقشة الطريقة التي نظر فيها مؤلفون وباحثون أوروبيون «لاتين» خلال الفترة الواقعة بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر إلى المسلمين المتواجدين في أوروبا آنذاك.

ويقوم المؤلف بمقارنة مستفيضة بين حالة العالم العربي وبين أوروبا خلال تلك القرون. ويؤكد أن العالم العربي كان آنذاك غنياً، وأكثر تقدما وازدهارا وقوة وأدبا من أوروبا اللاتينية. ذلك أنه في الوقت الذي مثّل فيه العرب والمسلمون عندها أحد بؤر التنوير الأشهر في العالم كانت أوروبا تعيش حقبة محاكم التفتيش.

هذا التباين في المشهد انعكس مباشرة على النظرة للمسلمين في أوروبا، حيث تواجدوا منذ فتح اسبانيا. ويحدد المؤلف القول إن هؤلاء «المسلمين» كانوا بالوقت نفسه «محطّ الإعجاب ومصدر الخوف».

وهذا ما يبيّنه المؤلف من خلال بعض الكتابات المسيحية التي حررها أوروبيون، والتي تراوحت بين «الدفاع» عن المبادئ والأفكار المرتبطة بالإسلام في أوروبا وبين «رفض» هذه الأفكار. ويشير المؤلف إلى أن بعض هذه الدراسات «المناوئة» كلية للوجود الإسلامي في أوروبا وللمبادئ الإسلامية قد وصلت أحياناً إلى حد مهاجمة أسس العقائد ذاتها.

ويشرح المؤلف كيف أن بعض المؤلفين الأوروبيين تعرّضوا آنذاك إلى الحديث عن التوترات اليومية التي كانت تقوم في أحيان كثيرة أثناء العصر الوسيط بين المسلمين والمسيحيين في الأماكن التي كانوا يعيشون فيها معا.

وهذا ما تتم دراسته من خلال ما كتبه أحد المؤلفين تحت عنوان: «أصوات أجراس الكنائس ونداءات الأذان في الجدل بين الطوائف في شبه الجزيرة الاسبانية».

ويعيد المؤلف في تحليلاته مثل هذا التوتر الذي كان يصل أحيانا إلى درجة متقدّمة من الحدة، إلى عدة أسباب في مقدمتها «وجود حواجز لغوية» حقيقية كانت تمنع التواصل وبالتالي التفاهم.

هذا إلى جانب الخلاف في المصالح ونظرة الكثير من الأوروبيين للمسلمين المتواجدين في اسبانيا على أنهم يمثلون قوة احتلال خارجي لأرض مسيحية.لكن بالمقابل هناك مؤلفون لاتينيون آخرون مثل «بورشار دو ستراسبورغ» سفير فريديريك بربروس لدى صلاح الدين الأيوبي حوالي عام ١١٧٥ ميلادي الذي يشرح المؤلف مقولاته حول «الإخلاص المشترك بين المسلمين والمسيحيين».

ذلك على خلفية الاحترام المتبادل، هذا إلى جانب «الأرض المشتركة: التي قامت عليها الديانتان الإسلامية والمسيحية». وينقل المؤلف الكثير من الشواهد المأخوذة من كتابات «دو ستراسبورغ» التي يؤكد فيها على أن العديد من القادة المسلمين، من أمثال صلاح الدين، كانوا نموذجا للفروسية والكرم.

ويحدد جون تولان القول ان ردود أفعال العالم المسيحي اللاتيني آنذاك تراوحت بين اعتناق الكثيرين للإسلام حتى حمل السلاح للنضال ضده من قبل آخرين، ومرورا باتخاذ المواقف الشفهية في هذا الاتجاه أو ذاك.

ويتم في هذا السياق تحديد القول ان العديد من المفكّرين والكتاب اللاتينيين، ساهموا في الجدل الذي ثار خلال الفترة الواقعة بين القرن الثامن الميلادي والقرن الثالث عشر، أي ما يتناظر مع فترة ما يُعرف بالقرون الوسطى بالنسبة للعالم الأوروبي عامة.

ولم تكن الاتهامات بالوثنية والهرطقة هي أقل النعوت التي جرى توجيهها للمعتقد الجديد «الظافر».

وهنا يفتح المؤلف قوسين كي يشرح، بالاعتماد على العديد من الكتابات اللاتينية، كيف أن استراتيجية المفكرين المسيحيين والمبشرين الأوروبيين لم تبق جامدة من حيث المواقف التي اتخذتها حيال الإسلام.

بل إنها تطورت كثيرا بمقدار ما جرى التعرّف أفضل وأعمق على التعاليم الإسلامية. هكذا تضاءلت كثيرا حدة النقد ومالت الآراء المقدّمة باتجاه قدر أكبر من الدقة واللجوء إلى المحاججة والاعتراف.

لكن هذا لا يمنع المؤلف من التأكيد بالوقت نفسه أن الحرب الإيديولوجية ظلت في واقع الأمر بمثابة رهان أساسي في العلاقة بين العالمين اللاتيني والإسلامي خلال العصور الوسطى. كما يؤكد أن هذا الرهان كان من الأهمية بدرجة أن آثاره لا تزال قائمة حتى الفترة الراهنة.

وبهذا المعنى يؤكّد جون تولان أن الشعور الذي ينتاب الغربيين عامة أنهم «متفوقون» على المسلمين وعلى العرب لا يعود إلى الحقبة الاستعمارية فحسب، ولم يولد مع الاستعمار، لكنه يضرب جذوره في الذاكرة الجماعية الأوروبية والغربية لحقبة القرون الوسطى.

ولعلّ هذا الكتاب يمثل مساهمة فريدة من حيث عرضه وتفحّصه لأشكال الجدل العقائدي التي سادت في أوروبا ما بين القرن الثامن والقرن الرابع عشر حيال الإسلام. وذلك من خلال العودة إلى ١٢ دراسة لمفكرين مسيحيين «لاتينيين»، حيث يضعها «جون تولان» في سياقها التاريخي.

وبالوقت نفسه يقدّم المؤلف من خلالها الرؤية «اللاتينية» بمختلف مظاهرها حيال الحضارة العربية وحيال الإسلام في فترة دقيقة من تاريخ الجمود الأوروبي، أي القرون الوسطى.

الكتاب: أوروبا اللاتينية والعالم العربي خلال العصر الوسيط - تأليف: جون تولان - الناشر: جامعة رين رين - الصفحات: ٢٢٩ صفحة -القطع: المتوسط

ابراهام لنكولن حرّر عبيد أمريكا ليستعمر بهم مناطق أخرى في العالم

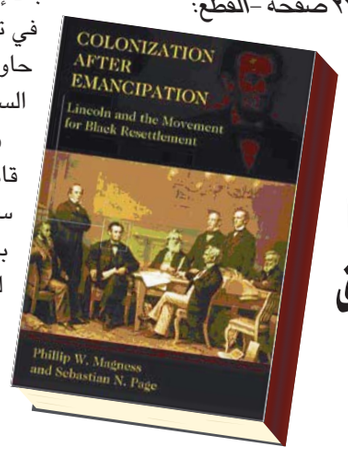

واشنطن – يطرح الباحثان الأميركيان فيليب دبليو ماغنيس، الأستاذ في الجامعة الأميركية بواشنطن، وسيباستيان ن. باج، الباحث في المعهد الملكي التابع لجامعة أكسفورد، في كتابهما «الاستعمار بعد التحرر» فكرة معاكسة لما اشتهر عن الرئيس الأمريكي الأسبق إبراهام لنكولن للتصدي لمشكلة العبودية والتحرر وهي «أنه كان أحد دعاة الاستعمار عبر الترويج لفكرة إرسال العبيد من الأميركيين ذوي الأصول الإفريقية إلى مناطق أخرى في العالم كي يعيشوا فيها أحرارا «.

ويؤكد المؤلفان في كتابهما الصادر حديثا عن «جامعة ميسوري» الأمريكية أنهما يسعيان من خلال هذه الدراسة إلى كشف المجهول من أجل الوصول إلى الحقيقة بخصوص موقف لنكولن من مسألة «الاستعمار» حيث يبينان في تحليلاتهما، اعتمادا على الوثائق التي وجداها في المخزونات الأرشيفية، وخاصة في مكتب الوثائق الخارجية الأميركية، أن التاريخ أهمل حقيقة أن لنكولن استمر في متابعة النهج «الاستعماري» لمدة تقارب العام بعد إعلان «وثيقة التحرير» بل يذهبان في تأكيدهما إلى حد القول ان لنكولن حاول استئناف العمل بذلك النهج السياسي الاستعماري لحظة اغتياله.

ويكشفان أن الإدارة الأميركية قامت في ظل لنكولن بمفاوضات سريّة مع الحكومة البريطانية بغية البحث عن مناطق «ملائمة للاستعمار» في بحر الانتيل ..

ويشيران في هذا الصدد إلى بعض الخطط التي يشكفها الكتاب، ومنها أن الأمر قد وصل إلى تحديد «الشحنة» الأولى من المستوطنين التي كانت على وشك الإبحار إلى منطقة الكاريبي، ولكن لم يتم تنفيذ تلك الخطة بسبب الخلافات الداخلية في إدارة لنكولن.

ويذهب المؤلفان إلى تحديد النهج «الاستعماري» الذي تبنّاه لنكولن وحاول تطبيقه حتى بعد إعلانه وثيقة تحرير العبيد، من خلال إيراد الكثير من الأسماء التي عملت في إطار مشاريع توطين الأميركيين السود في منطقة بحر الكاريبي، وغيرها مثل «جون ويليس مينار» الأميركي الأسود الأول، الذي جرى انتخابه كعضو في مجلس الكونغرس، وكان قد أبدى اهتمامه بموضوع التوطين «الاستعماري».